﴿ وصف رحلة ﴾

بعث الينا حضرة الكاتب الاديب حبيب افندي صوايني بمقال يصف به رحلته من هذه البلاد الى اوروبا والبرازيل ولكنه لما كان طويلا فقد رأينا اختصاره وذكر ما يتفكه به مما هو غير معلوم لحضرات القراء تاركين ذكر اوروبا ومدائنها لانها قد صارت معروفة لدى الجميع بكثرة السفر اليها وقراءة الفصول عنها. قال يصف ميناء باهيا في البرازيل

بعد مسير ما ينيف على عشرين يوماً وصلنا مدينة باهيا في احدى ولايات اميركا الجنوبية فدخلت بنا السفينة في ميناء طبيعي تحيط به سلسلة جبال الى مسافة عدة اميال يؤلف منها ذاك الميناء الذي لو اجتمع البشر باسرهم لما تمكنوا من صنع ميناء يقابله في الجمال والمناعة. وما كادت السفينة تلقي مرساها حتى اكتنفتنا الزوارق من كل ناحية باشكال غريبة وهيئات عجيبة ومن يتأمل في هؤلاء القوم يستغرب اختلاف الوانهم واختلاف طباعهم فانه يرى جميع الوان البشر من ابيض واسود وما بينهما من خلاسي ورباعي وثماني الخ يجتمعون تحت رابطة واحدة ويجد ان فئة منهم قد ركبت جذع شجرة فرغ باطنه ورفع رأساه فاصبح زورقاً طبيعياً غاية في الجمال والمتانة. ويرى فئة اخرى تركب زورقاً اخراً قد صنع من اعمدة كاعمدة النلغراف الخشبية قد صفت أفقية ومكنت بعضها مع بعض بواسطة عمودين ادخلا فيها عرضياً وصنع فوقها مثل مقاعد للجلوس فتأمل.

« جمارك اميركا الجنوبية ورسومها » الرسوم الجمركية هنا على البضائع

الاجنبية تزيد كثيراً على اثمانها الاصلية وهي مثل حصن للمدافعة عن البضائع الوطنية ومع هذا فالاولى مرغوب فيها والثانية مرغوب عنها. والرسوم تؤخذ على الوزن في اغلب البضائع فكيلو الشيت مثلا يدفع ما يقارب الخمسة فرنكات وغيره من البضائع القطنية الناعمة تدفع من ثمانية الى عشرة فرنكات على الكيلو والمطرزات النسائية تدفع من اربعين الى ستين فرنكا على الكيلو والمنسوجات الحريرية تدفع ما يقارب الستين فرنكا عن الكيلو والحريرية تدفع ما يقارب المائة والعشرين فرنكا على الكيلو وبقية البضائع تدفع رسوماً مختلفة والقوم هنا لا يميلون الى البضائع الوطنية لانها لم تصل الى درجة الاتقان الاوروباوي

« حاصلات البلاد » اما حاصلات البلاد فهي البن والكاكاو والمطاط والتبغ والالماس والاهالي هنا في غاية الكسل والاهمال وتراهم لا يعتنون بشيء من وسائل الانتفاع بخيرات الارض ومع هذا فالطبيعة قد خصتهم بارض ليس اجود او اغنى منها فهم يحصدون ولا يفلحون « وعندنا من لا يفلح لا يحصد » ولكن القوم هنا قد خالفوا القاعدة المطردة اذ ان الطبيعة تقوم مقامهم في خدمة ذاتها وينوب الغيث عنهم في ارواء الارض كلما احتاجت اليه صيفاً وشتاء اي انه لا تمضي بضعة ايام بغيران تسقى المزروعات وهذا نادر في غير بلاد. والانسان هنا وهو على شاطىء البحر يستنشق هواء الجبال وكذلك يتنسم نسيم الغياض الغضة في روؤس الجبال والغريب انك تجد الغابات والاحراج والغياض التي ليس لها مثيل في العالم وكل هذا وليس للانسان فيه يد. وغاية ما يفعله الانسان هو جني المحصولات والانتفاع بها والطبيعة تخدمه فيما بقي من الاعمال التي يعملها غيره في غير

بلاد . اما الالماس فيستخرجونه بالتصويل البسيط اي بالقصاع ولا الآت كبيرة عندهم لهذه الغاية . ومنهم من يتفق مع بضعة انفار على ان يقدم لهم احتياجاتهم من مأكل ومشرب الى مدة معلومة وما يلتقطونه يكون بالمناصفة بينه وبينهم . ومنهم من يستأجر رجالا باجرة معلومة وما يلتقط يكون له وحده . ولي صديق سوري استخدم عدة رجال للتعدين على حسابه فكانوا اذا التقطوا شيئاً يخفونه عنه ويأخذون اجرتهم منه وكان يجري ذلك رغماً عن كثرة مراقبته وكثيرون منهم كانوا يبلعون ما يجدونه ثم يستخرجونه من اجوافهم . اما الذهب فكثيراً ما يجدونه مخلوطاً مع معادن اخرى ولكن لقلة خبرتهم باستخلاصه بالطرق الاصولية لا يعتنون به الا اذا اتفق ووجد خالصاً

« عجائب هذه البلاد » وهذه البلاد كثيرة الحيوانات لكثرة احراجها وكثيرة الحيات الهائلة العظيمة الحجم وكذلك كثيرة التماسيح والقرود والطيور ولكن كل العجب في حوت من حيتان البحر او سمكة من اسماكه يقال (لها عندهم بالياء) وهي ذات حجم هائل يبلغ طول بعضها العشرين متراً وعلوها الخمسة امتار وهي بلون فحمي كلون الدوارع الحربية وتقارب بعضها في الحجم ولهم في صيدها طريقة عجيبة وكيفية ذلك انها في ايام معلومة تظهر بميناء قرية بقرب مدينة باهيا يقال لها تبوان فيقصدها احد القوارب وفيه بضعة رجال معهم اداة كالحربة مربوطة بحبل ولها نصل اذا دخل جسما ما وشدّ تفتح فيه شعبتان متعارضتان فتصبح الحربة بهيئة الصليب داخل الجسم التي تكون فيه . فيقتربون منها بحيث لا تراهم ويضربونها بالحربة المذكورة فتدخل حالا بها وحين شعورها بالضربة تقصد الفرار

فتنفتح بجوفها شعبتا الحربة ويكون حبل الحربة مربوطاً بالزورق فتجره مع ما فيه الى مسافة بعيدة فيرفع من بداخله علماً احمر وهي علامة اصطلحوا على رفعها بعد صيد هذا الحوت العظيم . وبعد ان يجر الزورق الى مسافة بعيدة يقف قليلاً ليستريح فيقترب منه الذين بالزورق ويسكبون على محل الضربة مادة ترتخي بها كل عزائمها ويكون اذ ذاك قد وصل للقوم نجدة من البر فيتعاونون في جرها الى البر الى ان تصل الى عمق معلوم فيتركونها الى وقت الجزر فينحسر عنها البحر وتظهر هيئتها الهائلة . وقد قصدت هذه القرية وشاهدت حوتين صيدا في ذلك اليوم احدهما يبلغ الخمسة عشر متراً وعلوه اربعة امتار والاخر يبلغ العشرة امتار وعلوه ثلاثة تقريباً . ومجمل منظرهما كدارعتين حربيتين على وجه البر . ولكل منهما مجذافان عرض احدهما نصف متر وطوله بين الخمسة والستة امتار . فلما ان القوم يتركون ما يصطادونه الى وقت الجزر لانهم لا يقدرون على جره الى البر نظراً لثقله وحين الجزر يجتمعون حوله ويأتون بسلم ويصعدون الى ظهره ويبتدئون بتشريحه بقاطعة كبيرة . والعجيب في هذه السمكة او هذا الحوت لهائل ان لحمه لين للغاية وليس به أقل صلابة وهو مركب من طبقتين احداهما بيضاء وهي العليا التي تحت الجلد والثانية حمراء وهي تحت البيضاء وتبلغ سماكة العليا الثلاثين الى الاربعين سنتمتراً ومن هذه الطبقة يستخرجون زيت السمك بواسطة الغلي وهي كثيرة الشبهة بطبقة دهن الخنزير الملاصقة لجلده وهناك معمل انكليزي ينقلون اليه القسم الابيض فيستخرج منه الزيت ويرسله الى الخارج . والطبقة الثانية وهي الطبقة الحمراء يستعمل منها للاكل جنياً والباقي يقددونه ويرسلونه للجهات فيباع

فيها . اما حسك هذا السمك فيستعملونه عوضاً عن الاعمدة في تسييج الحظائر ويبلغ طول الحسكة من المتر ونصف الى الثلاثة امتار « فهنيئاً لهولاء القوم انهم لا يحسكون » ومع ما هو عليه هـذا الحوت من العظم فهو لا يؤذي ولا يقدر ان يبلع شيئاً كبيراً دفعة واحدة نظراً لضيق بلعومه . واما عظمه فلا ينتفعون به الانتفاع المنتظر لانه قليل المتانة فاذا مضت عليه مدة طويلة يتنخر ويصبح غير صلب . ولذلك فانهم يستعملون فقرات السلسلة لعمل الكراسي ويبيعونها باثمان بخسة للغايه وقد اشتريت منها اربعة كراسي باقل من خمسة فرنكات

« عادات واخلاق » البلاد هنا كثيرة الغرائب والقوم فيها لهم عادات واخلاق هي غاية في الغرابة فنبتدي اولا بذكر عادتهم في الطعام ثم ننتقل الى غيره من بقية العادات . وعندنا ان اللازم الاول للحياة هو (الخبز) وأما هنا فلا يعتبرونه وكثيرون منهم لا يعرفونه ولكنهم يستعيضون عنه بدقيق يقال له « فارينا » وهو دقيق جذور كالبطاطة والقلقـاس له معامل او مطاحن مخصوصة لطحنه وتحميصه ويتناولونه على المائدة مجبولا بالمرق او حافاً اذا كان الطعام مصنوعاً من البقول او الخضر وذلك بانهم يضيفون منه كمية معلومـة فوق صحن الطعام ويمزجونهما معاً ويتناولوهما . ويستعمل المتنعم منهم الخبز صباحاً فقط مع القهوة والشاى او الحليب . هذا في المدن اما في داخلية البلاد فلا يستعملون الخبز بتـةً . اما اسعار الفارينا المـار ذكرها فبخسة جداً ويكفي الانسان في يوم ما قيمته نصف غرش . كذلك يستعملون كثيراً اللحم المقدّد ومنهم من يفضله على الطري وله تجارة عظيمة جداً وليس هذا لقلة وجود المواشي فالمواشي كثيرة واللحم الطري

رخيص جداً ولا يسوى الكيلو منه اكثر من فرنك واحد ولكن القوم لا يرغبون فيه كثيراً وفي مواضع كثيرة لا يستعملون غير اللحم المقدد والفارينا « والفاجوم » وهو نوع من اللوبياء السوداء وهذه لها رغبة زائدة عندهم . ولهم ايضاً ولع شديد بالفليفلة الحريفة وهم يبيعونها بالكيل ويتناولون منها مقادير هائلة واذا صعدت اسعارها يعدون ذلك مصيبة (فتأمل)

ويعتنون اعتناء زائداً بتنظيف اسنانهم حتى انك تراهم لمزيد اعتنائهم بها كأن لا أسنان في افواههم وذلك لانهم يفركونها دائماً بعيدان التبغ ومسحوقه الى ان تصير غاية في البياض ولا يقتصرون على ذلك بل يضيفون اليه مضغ التبغ وكثيراً ما تجد في افواه نسائهم من عيـدان التبغ المذكورة وهي ظاهرة للعيان وكثيرات منهن لا ينزعنها من افواههن . والقـادرون منهم يستعيضون عن الاسنان الطبيعية باسنان ذهبية . وكأنهم يرغبون في ذلك نكاية بالطبيعة ولكن كل شيء يوضع في غير محله لا يكون جميلا

« المسلمون الافريقيون فى اميركا » قلنا في كلام سبق ان القوم هنـا كثيرو الالوان وهذه الالوان ليست أصلية فيهم بل اكتسبوها من الاجانب الذين اختلطوا بهم كالاسبنيول والبرتوغاليين وغيرهم من الاورباويين والافريقيين . اما لون البرازيليين الاصلي فهو كلون اهالي الهند وقد اكتسب قسم منهم اللون الابيض من المهاجرين الاورباويين وكذلك قسم كبير منهم قد اكتسب اللون الاسود من العبيـد الافريقيين ولا نعلم الوقت الذي هاجر فيه هؤلاء السود ولكننا لا نظنه قديما لاننا نجـد بين الطاعنين في السن منهم كثيرين ممن لا يزالون يعرفون قليلا من لغتهم الاصلية وهي العربية وكذلك نجد كثيرين منهم ما برحوا عالقين ببعض

عقائد دينهم وهو الاسلامي واذا خاطبت احدهم قائلا السلام عليك اجابك حالا (واليك السلام) بابدال العين بالسلام وان قلت له لا اله الا الله قال لك فوراً (مهمد رسول الله) بابدال الحاء بالهاء وليس هؤلاء بقليلين فان منهم ومن نسلهم يؤلف القسم الاكبر من البرازيليين . والافريقيون الطاعنون في السن يرتاحون اليك اذا خاطبتهم بالعربية ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوك بها الا على بعض كلمات . والعجب في امرهم ان نسلهم باسره معتنق الديانة الكاثوليكية وهي السائدة في البلاد والاباء والاجداد ما زالو يحنون الى وطنهم الاصلي وكثيرون منهم يودون العودة اليه اذا ساعدت الحال ولكن من اين لهم ذلك والاخرة صارت اقرب اليهم منه . وعلى ما اظن ان كثيرين من المهاجرين السوريين سيندغمون في الوطنيين ويتركون لغتهم وعاداتهم

« علوم وآداب البرازيليين والصناعة عندهم » في البلاد البرزيلية اليوم نهضة علمية سيكون لها شأن يذكر في تقدمهم فطلبة العلم كثيرون والمدارس كل يوم على تقدم وهي تدرس العلوم العليا مثل طبية وطبيعية وفنية الخ . وهم ينهجون نهج الفرنساويين في اكثر آدابهم الا ان طلبة العلم هنا قلما يلتفتون الى حسن السلوك وهذا مما يسؤنا ان نذكره عنهم ولكننا اضطررنا الى ذلك غير مختارين لانك قلما تجد منكرة الا وهي صادرة منهم والاهالي يخشونهم والحكومة تغض النظر عنهم وهم لا يتركون غريباً او فقيراً بغير ان يتحرشوا به وخصوصاً في اجتماعاتهم وهذا ما يدعو الى الاسف (لان خطاء العاقل بالف خطاء) اما الصناعة فهي متأخرة جداً ولولا نهوض بعض الاغنياء او الاجانب لانشاء المصانع لما كان صناعة للافراد . ولكن

بفضل بعض المتنورين ستتقدم الصناعة تقدماً حسناً وان كانت الى الان لم تصل الى الدرجة المقصودة

« الحكومة البرازيلية » حكومة هذه البلاد حكومة استبدادية غير نظامية وداء الرشوة مستول على المأمورين والقوي هنا هو من كان غنياً والجمهورية تعد جمهورية استبدادية مختلة الترتيب . والخلاصة ان القوم من هذه الوجهة في تأخر لا مزيد عليه ورغماً عما يؤخذ من رسوم الجمارك الكثيرة فالحكومة مديونة لغير حكومات وعندي انه لولا حماية الولايات المتحدة لها لكانت الدول التهمتها او بعضها

هذا ما توصلت الى معرفته شرحته للقراء وان شاء تعالى سنعود الى هذه المواضيع عندما تسنح الفرص